بقلم: جوني منصور*

مشروع لم يكتمل تاريخياً

الدولة اليهودية.. من الأرجنتين إلى فلسطين

ليست اسرائيل كدولة «منتوجاً» متكاملاً وفق الاسس والمعايير الصهيونية الى ساعة كتابة هذا البحث، فما زالت اصوات عقائدية وسياسية تنادي بتوسيع اسرائيل تحقيقا للمشروع الصهيوني وتطبيقا لكل أسس الفكر الاستعماري العالمي الذي كان سائدا في نهايات القرن التاسع عشر.

الاعتقاد السائد ان اسرائيل التي اعلن عن قيامها في العام ١٩٤٨ هي في الواقع أحد مشاريع اقامة دولة يهودية في موقع ما في العالم، فهناك مشاريع كثيرة لاقامة دولة يهودية عبر التاريخ ، خاصة في القرن التاسع عشر، حيث طرحت سلسلة من المشاريع من قبل سياسيين ومفكرين وتجار واصحاب مصالح يهود وغيرهم من الاوروبيين والاميركيين المتعاطفين مع الاماني اليهودية والصهيونية ايضا.

والمتتبع لهذه المشاريع يلحظ ان أساسها مبني على قواعد استعمارية وفق كل المقاييس التي رسمها رواد الفكر الاستعماري في القرن التاسع عشر.

ولفهم اعمق لواقع الاعلان عن اسرائيل في العام ١٩٤٨ يتوجب دراسة فكرة التوطين ومحاولات اقامة دولة أو شبه دولة (دويلة) تتمتع بنوع من الاستقلال والسيادة.

يوجد اجماع عند مجموعة كبيرة من المؤرخين اليهود والاسرائيليين ان نتاج الفكر اليهودي–الصهيوني بواسطة اقامة دولة اسرائيل بشكلها الذي ابتدأ في العام ١٩٤٨ رسمياً على ارض الواقع هو ليس ما خطط له آباء الصهيونية، أقله من الوجهة النظرية.

لقد رافقت فكرة اقامة وطن أو دولة يهودية في موقع ما في

* موظف فلسطيني من حيفا يعمل في مكتب بيروت

العالم عددا كبيرا من اليهود والصهيونيين الى ان وضع هرتسل مشروعه الخاص بالدولة اليهودية . ويرى المفكرون والمتخصصون في مجال الفكر السياسي الصهيوني ان هرتسل قد اوصل مشروع الدولة اليهودية الى درجة جيدة من النضوج والتقدم بحيث يتجاوب مع متطلبات:اليهود،الاوروبيين والاميركيين، والدوافع والبيئة الاستعمارية التي نشأ فيها هذا المشروع.

ولا نريد الخوض في طبيعة حياة وعمل الجاليات اليهودية المنتشرة في ارجاء اوروبا والولايات المتحدة الاميركية في نهايات القرن التاسع عشر ، فهذا ليس موضوعنا هنا بالذات ، انما نود الاشارة الى ان هذه الجاليات في معظمها تمتعت بقسط وافر من المستوى الاقتصادي الجيد ،الا في حالات معينة لبعض الجاليات الروسية والبولندية، وتبوأ عدد من اليهود مراكز سياسية واجتماعية واقتصادية مهمة في الدول التي عاشوا فيها واعتبروا جزءا منها وليسوا غرباء .انما ظاهرة الغربة لم تفارق اوساط المتدينين اليهود الذين اعتبروا «العودة» من الشتات الى «ارض الآباء والأجداد» أمرا سيحصل لا محالة ويجب الاستعداد له بشكل دائم. ولهذا يتمثل الامر بجاهزية اليهودي للانتقال من مكان إلى آخر بكونه يحمل حقيبة سفره دائماً.

على ما يبدو ان هذه الاوساط تركت ظلالها على واقع اليهود الحياتي ، وخاصة استمراية قرع اجراس الاقلية المضطهدة والملاحقة في اوروبا وضرورة ايجاد منفذ لحل هذه الاشكالية .

من هذا المنطلق الديني في الاساس تطورت افكار وطروحات لدى الجاليات اليهودية في اوروبا منذ القرون الوسطى بالبحث عن سبل لتحقيق شيء من الاستقلال الديني فالقومي، بحسب مفاهيم ومعطيات ذلك الزمن.

انما الظروف السياسية والاقتصادية والتوسعية التي شهدتها الساحة الاوروبية جذبت اليها الجاليات اليهودية لتغوص في الفكر السياسي وتطرح مشاريع سياسية بالامكان تنفيذها او جزء منها ، بعكس التيارات الدينية المنتظرة خلاصا من السماء فقط.

الالية الحراكية التي تميز بها مفكرون يهود منحتهم دافعا متواصلا لطرح حلول وافكار مشاريع للبقاء على ساحة الاهتمام الا وروبي السياسي والاستعماري.

تظاهرة في باب الجديد بالقدس العام ١٩٣٣، ضمن مقاومة النشاط الصهيوني.

لقد ظهرت تحركات يقظة قومية في اوساط الجاليات اليهودية بحيث طرحت مبادرات لاستيطان يهودي جماعي مستقل في انحاء مختلفة من العالم، وواضح ان الطروحات والمشاريع (التي سنستعرض عددا منها، لم يتحقق على ارض الواقع بدرجة ان يوصل الى اقامة دولة سوى مشروع هرتسل) استجابت لكل ما يتطلبه الاستعمار الاوروبي الذي كان يبحث عن مستعمرين يتوجهون الى المستعمرات لتوطينهم، وبالتالي يتحولون الى خدام للفكر الاستعماري . وواضح من كل المشاريع التوطينية اليهودية التي طرحها يهود او اوروبيون انها متفقة ومتناسقة من حيث المقاييس السياسية والاقتصادية. المبحث الاستعماري كان في اساسه حماية ثروات البلاد الواقعة تحت الاستعمار وكيفية استثمار هذه الثروات لتعود بالفائدة الجمة على الدولة المستعمِرة قبل كل شيء.

انطلقت فكرة توطين اليهود في قبرص بعد احتلال الجزيرة على يد الجيوش البريطانية في العام ١٨٧٨ وذلك من منطلق استخدام اليهود كقوة حماية للمصالح العسكرية والاستعمارية البريطانية في الحوض الشرقي للمتوسط. وازدادت وتيرة الاصوات المنادية لتحقيق الاستيطان اليهودي في الجزيرة برعاية بريطانية في العام ١٨٩٥، ولقيت هذه الفكرة تجاوبا من ديفيز تربيتش (١٨٧٠-١٩٣٥) وهو صهيوني الماني هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية ثم الى المانيا واظهر ميولا قوية للصهيونية . طرح تربيتش مشروع الاستيطان في قبرص على المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) والثاني(١٨٩٨) ولقي تعاطفا من هرتسل نفسه الا ان الاخير طلب منه التريث منعا لظهور معارضة شديدة من قبل المشاركين في المؤتمر.

كانت قضية اخراج او طرد اليهود من اسبانيا في العام ١٤٩٢ والتي ترافقت مع خروج العرب منها، مثيرة لإهتمام عدد من الباحثين الذين ربطوها مع انطلاقة كريستوفر كولمبوس في العام ذاته الى اكتشاف العالم الجديد. الادعاء ان كولومبوس كان يهوديا وقد استجاب لفكرة البحث عن مواقع جديدة في العالم لتكون ملجأ لليهود المطرودين من اسبانيا. ولكن اثبات هذا الادعاء يحتاج الى الكثير من الادلة والقرائن ، وهي الآن غير متوفرة بالتمام.

المحاولات الكثيرة لتوطين مجموعات من اليهود في مواقع مختلفة من العالم على ما يبدو لم تتوقف على الاطلاق عبر التاريخ ، كانت في القديم والقرون الوسطى واشتدت حدتها في العصر الحديث.

ابرز الصعوبات والمشاكل التي اعترضت سبيل تحقيق اقامة وطن يهودي او اوتونوميا متمحورة في التالي:

* عدم القدرة على التأقلم الحياتي والعملي في البيئة الجديدة.
* استمرار مقاومة القبائل والشعوب التي حل اليهود في وسطها او بالقرب منها لاسباب سياسية ومعيشية.
* تبخر الاغراءات بالعثور على الذهب والمعادن الغالية في مناطق التوطين التي وصلت مجموعات منهم اليها.
* تمسك التيارات الدينية واوساط سياسية يهودية بفكرة اقامة دولة في فلسطين تحقيقا للمشروع الالهي في الشعب المختار، كل من وجهة نظره:المتدينون وفق الاسس الدينية الواردة في التوراة والتراث الديني اليهودي، والعلمانيون وفق اسس ومفاهيم الدولة الحديثة.

هذه المعوقات شرذمت المجتمع اليهودي الى فترة ما من حيث توجه كل فريق (المتدينون والعلمانيون) الى طرح مشروعه وتجنيد التأييد له، ولكن الاعلان عن اقامة اسرائيل في العام ١٩٤٨ الذي يعتبر انتصارا للعلمانيين لم يمنع المتدينين من الهجرة الى اسرائيل والعيش فيها حتى لو ان قطاعات وشرائح واسعة وكبيرة منهم ما زالت تتناقش حول شكل ومضمون ومستقبل الدولة . قطاعات من المتدينين المتزمتين(الحريديم) امثال نتوري كارتا تعترض على وجود اسرائيل بشكلها الحالي ولا تعترف بوجودها على الاطلاق.

بمعنى آخر ما زالت مسألة شكل الدولة ومضامينها ورموزها وشعاراتها محط جدل ونقاش واسعين في كافة الشرائح والقطاعات المكونة للمجتمع الاسرائيلي. هذه القضية «المنتوج» ما زالت ساخنة وملتهبة وتدفع كثيرين الى طرح افكار لتحديد شكل الدولة النهائي ليس فقط من ناحية الحدود الجغرافية بل ايضا من ناحية الرؤية المستقبلية للعلاقات مع الجوار ومكانة اسرائيل في المجتمع الدولي.

الكل يعلم انه ما زالت هناك تيارات متطرفة للغاية في الاوساط الاسرائيلية اليمينية تطرح مشروع اسرائيل الكبرى، ويبدو ان هذا الطرح لم يغب عن الساحة السياسية والعقائدية على الاطلاق. ولتحقيق هذا الفكر يتطلب الامر السعي الى احتلال مساحات واسعة من الاراضي العربية وتنفيذ ترحيل (ترانسفير) لتصبح الارض المحتلة ذات جاهزية لاستقبال المخلصين والمنقذين لها. الواقع ان هذا الطرح الذي يرافق الفكر الصهيوني –الاسرائيلي التوسعي ملازم لسياسيين اسرائيليين وصهيونيين الى يومنا هذا؛ بمعنى ان تنظيف(تطهير)المنطقة من غير اليهود،وفي هذه الحالة العرب الفلسطينيين في الواقع الحالي قد طبق بشكل كبير في العام ١٩٤٨، وما زال يطبق في الاراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة بأساليب متعددة تبنتها المؤسسة السياسية الاسرائيلية. ومما لا شك فيه ان تحقيق نجاح في هذا الامر يؤكد ان فرص تطبيق ترحيل في مناطق عربية اخرى خارج فلسطين ليس منتهيا

على وجه الاطلاق. فالدعوة الى اقامة اسرائيل الكبرى يفرض بذاته تطبيق ترحيل وتنظيف عرقي واسع من منطلق بناء دولة يهودية خالصة تحقق الحلم اليهودي–الصهيوني عبر التاريخ.

لتبيان هذه المشاريع والطروحات نستعرض هنا عدداً من مشاريع توطين اليهود في العالم ومحاولات اقامة دولة و/او شبه دولة وصولا الى المشروع الاكبر وهو المشروع الصهيوني المعروف بـ«مشروع بازل» وما طرأ عليه من تعديلات الى ان تحقق اخيرا في العام ١٩٤٨ ولكنه لم ينته بمفهوم اخراج المنتوج «اسرائيل»الى واقع جيوبوليتي محدد.

وعلينا الاشارة هنا الى ان زخم المشاريع المعروضة يشير بدلالة قاطعة الى ادراك طارحيها وآباء الصهيونية انه حتما سيتحقق احداها بالوجه الذي يريدونه، اضافة الى ادراك هؤلاء للواقع الاستعماري السائد في الاجواء السياسية الاوروبية ونجاحهم في اقحام القضية اليهودية في خضم السباق الاستعماري .

١ مشروع

صاحب هذا المشروع هو مردخاي عمانوئيل نوح (١٨٧٥–١٨٥١).ولد في فيلادلفيا في الولايات المتحدة الاميركية لعائلة يهودية من اصل برتغالي، وعين قنصلا لبلاده في تونس العام ١٨١٣، وقرر اطلاق نداء لاقامة وطن جديد لليهود يكونون فيه احرارا ويحافظون على قوميتهم. وكتب نواح برؤية وتفكير آباء الصهيونية الحديثة قبل ظهورهم :

« مهما كانت آمال نهضة الامة اليهودية لحقوقها القديمة وحكمها فإن الواقع الحالي أشد وافضل. انهم سبعة ملايين في كل ارجاء المعمورة، يمتلكون ثروة ونفوذا ومواهب أكثر وافضل من أي شعب في نفس حجمهم العددي. سيسيرون في مسيرة نصر ويمتلكون ثانية فلسطين، وسيتربعون على عرش مكانتهم بين الحكومات في كل العالم».

وبدأ نوح بسلسلة من المفاوضات في العام ١٨٢٠ لشراء اراض في جزيرة غراند ايلاند والتي كانت خالية من الاستيطان تقريبا، وكان هدفه تجهيز الجزيرة لتكون «اورشليم الجديدة» التي تفتح ابوابها لاستقبال اليهود من كل حدب وصوب.ويبدو ان اختيار نوح هذا المكان لم يأت من محض صدفة ، فالجزيرة تقع قرب نهر نياغارا وهذه منطقة جيدة للشروع باقامة مشاريع اقتصادية مربحة بتكلفة بسيطة. والقصد هنا السعي الى الاستفادة من النهر والشلالات لتوليد طاقة هيدرومائية. وامل نوح بإستقطاب رؤوس اموال يهودية من فرنسا والمانيا ومن شرقي اوروبا للإستثمار في هذه المنطقة. ونجح بعد جهود دامت خمس سنوات من تجميع المبالغ اللازمة لشراء المنطقة . وجاءت الخطوة الثانية في العام ١٨٢٥ عندما اطلق نداء عممه على كل يهود العالم مفتتحا اياه : « ... بعناية الله حاكم وقاضي اسرائيل ادعوكم الى القدوم الى الدولة التي اعدها لكم». ولتنفيذ هذا النداء كلف حاخامات لندن وباريس ادارة عملية هجرة اليهود الى هذه المنطقة بعد ان يساهم كل مهاجر بدفع مبلغ قدره ثلاثة شواكل. وحدد نوح ان الدولة الجديدة ستسير اعمالها وفق الدستور الاميركي وستكون ملجأ لكل يهود العالم.

وتعرض نوح الى انتقادات لاذعة من اوساط يهودية اميركية واوروبية ، خاصة فيما له علاقة بمسألة الخلاص. فهل سيحدث الخلاص لليهود في هذه الجزيرة النائية والمليئة بالمستنقعات. وكانت خطة نوح الاعلان بواسطة احتفال مهيب عن دولته التي اطلق عليها اسم «ارارات» تشبها بفلك نوح من التوراة، وجرى الاحتفال في كنيسة سان بول في بافالو ليكسب تأييد مسيحيي اميركا، فوضع حجر الاساس فيها. ولكن مشروعه هذا باء بالفشل وسط الاجواء المعادية لطروحاته من قبل اليهود الاميركيين. وقرر بيع ما امتلكه من اراضي الجزيرة المذكورة وانطلق مؤيدا اقامة وطن يهودي مستقل في فلسطين.ولقي نوح دعما من الرئيس الامريكي انذاك جون وليامز.

٢ مشروع لين

طرحه بول فريدمان (١٨٤٠–١٩٠٠) وهو يهودي ولد في المانيا .وتنقل في ارجاء كثيرة من اوروبا وخارجها واطلع على احوال اليهود فيها وتوصل الى نتيجة مفادها ان حل المسألة اليهودية لن يتم الا بواسطة نقل اليهود وترحيلهم الى منطقة خارج اوروبا لإقامة دولة يهودية توضع تحت رعاية دولة غربية .ودفعته حميته

الصهيونية الى البحث عن هذه المنطقة والتي وجدها في المنطقة الواقعة على الشاطئ الغربي–الشمالي لشبه الجزيرة العربية، واطلق على هذه المنطقة اسم « اقليم مدين».وكان هدفه توطين عدد من اليهود الروس لتحقيق اقامة الدولة اليهودية في هذا الاقليم.ووضع كتابا(١٨٩١) مفصلا حول الاقليم شارحا فيه طبيعته الجغرافية والاقليمية والسكانية ومشددا انه كان في السابق جزءا من المملكة اليهودية القديمة.

ولم تتوقف جهوده عند هذا الحد بل ان اقنع اعدادا من الشباب اليهود الروس الاعضاء في حركة محبي صهيون ليتجندوا في فرقة عسكرية تكون نواة المستوطنين وابتاع باخرة صغيرة اطلق عليها اسم«اسرائيل»وابحر فيها نحو المنطقة المعينة.

الا ان المشروع لقي الفشل الذريع بسبب النظام الصارم والقاسي الذي فرضه فريدمان على اتباعه والمعارضة التي لقيها من بعضهم ، وبلوغ اخبار مشروعه الى اوروبا مما ادى الى وقوع ازمة سياسية مع الحكومة الروسية التي ارادت محاكمته بسبب وفاة احد رعاياها في المجموعة المرافقة له. وتم اخيرا طرده من هذا الاقليم بعد تدخل القوات العثمانية. ويبدو ان المعارضة الصهيونية لمشروعه والتي قويت في العام ١٨٩٥ لم تكن موجهة لفكرة الاستيطان انما ضد فريدمان نفسه واساليبه . والدليل على ذلك ان معارضي اسلوب فريدمان قد ايدوا طروحات هرتسل في اقامة وطن قومي يهودي.

٣ مشروع الارجنتين

اظهر الثري اليهودي البارون دي هيرش حماسا كبيرا في مسألة تحقيق عملية توطين يهودية في الارجنتين . وكانت غاياته اقتصادية صرفة مغلفة بالاماني اليهودية لخلاص الشعب من الملاحقات والمضايقات. اراد اقامة مجتمع يهودي زراعي يعمل على بناء قوة اقتصادية هائلة بنشاطة المستقل . فكلف جمعية «ايكا» الاستيطانية بشراء اراض في الارجنتين وتهجير (نقل) اعداد كبيرة من اليهود اليها. وبدأ بتنفيذ المشروع في العام ١٨٩١ حيث تم وصول اكثر من ٣٥٠٠ اسرة يهودية الى الارجنتين. وقامت الجمعية المذكورة بتوفير الالات الزراعية والخبراء الضروريين لتدريب وتهيئة اليهود للعمل الزراعي.وأُقيمت عشرات المستوطنات اليهودية على الاراضي الارجنتينية . والمشرفون عليها عرفوا انها ليست استيطانا دائما ، بل ان اليهود كانوا يتطلعون من خلال هذا التوطين المستقل الى فلسطين لإقامة الدولة اليهودية على اراضيها.لكن هذا المشروع فقد من مكانته الزراعية في سنوات الثلاثين من القرن العشرين بسبب اعباء الديون التي اثقلت كاهل الجمعية المذكورة ونقص مساحات الاراضي الصالحة للزراعة ، وانتقال عائلات يهودية الى المدن الارجنتينية للعيش فيها حيث فرص العمل متوفرة بكثرة. والواقع ان هذا المشروع لم يرق الى درجة دولة او اوتونوميا ، انما حافظ على شكله الاستعماري الخالص كجزء من المشروع الاستعماري العالمي الذي اطلقته ورعته الدول الاوروبية على مختلف انواعها وتوجهاتها.

٤ مشروع ليبيريا

اطلق ماكس بودنهايمر وهو من اثرياء اليهود نداء في العام ١٨٩١ الى بقية اثرياء اليهود لإقامة شركة تسعى جاهدة من اجل توطين يهود شرق اوروبا في منطقة سهل البقاع في لبنان. وكان بودنهايمر على معرفة مدى حيوية هذه المنطقة استراتيجيا بالنسبة للفكر الاستعماري البريطاني (ليس فقط البقاع انما معظم ارجاء الشرق الاوسط)، فطلب الدعم السياسي من الحكومة البريطانية من منطلق طرح مساعدة اليهود في حماية المصالح البريطانية وتأمين خطوط مواصلاتها نحو الهند. الا ان بريطانيا لم تظهر اهتمامها بالمشروع منعا لتوتر علاقاتها مع الدولة العثمانية جراء مغامرة صغيرة كهذه.

وجاءت فكرة كينيا او اوغندا . لم يرفض هرتسل العرض البريطاني من منطلق انه يريد الحصول على مستند من بريطانيا اعظم دولة في تلك الفترة تعترف بقضية اليهود . بمعنى ان مسيرة هرتسل بهذا الشأن هو نيل اعتراف دولي بحق اليهود في اقامة دولة لهم تتمتع بنوع من الاستقلال الداخلي .والتقت المصالح الصهيونية الاستعمارية مع المصالح البريطانية الاستعمارية .

٥ مشروع سوريا

طرح هنري دي افيجدور في العام ١٨٩٣ مشروع توطين يهود في منطقة حوران في سورية بواسطة شراء مساحات من هذه المنطقة وتحضيرها لغاية استيطان يهودي فيها. ولكن الدولة العثمانية رفضت فكرته.

٦ مشروع منطقة شرق الاردن

نفسه افيجدور توجه الى السلطات العثمانية في العام ذاته بإسم حركة محبي صهيون للسماح لليهود بالتوطن في منطقة شرقي الاردن.الا ان السلطان عبد الحميد الثاني منع من الحركة المذكورة شراء اراض في فلسطين ومنع تحقيق اي شكل من الاستيطان خوفا من تسلطها على مساحات واسعة من الاراضي، وحفاظا على سيطرته وسلطته.

٧ مشروع شرق الاردن

وضعه في العام ذاته ١٨٩٣ العلامة الصهيوني الالماني بوهلندورف . واساس المشروع هو توطين عدد كبير من اليهود في شرق الاردن والدخول في حرب مع سكان المنطقة الاصليين تكون سببا في انتقال اليهود الى فلسطين فقإامة دولة يهودية لهم فيها .ولكن السلطات العثمانية رفضت هذا المشروع ايضا.

٨ مشروع قبرص

انطلقت فكرة توطين اليهود في قبرص بعد احتلال الجزيرة على يد الجيوش البريطانية في العام ١٨٧٨ وذلك من منطلق استخدام اليهود كقوة حماية للمصالح العسكرية والاستعمارية البريطانية في الحوض الشرقي للمتوسط. وازدادت وتيرة الاصوات المنادية لتحقيق الاستيطان اليهودي في الجزيرة برعاية بريطانية في العام ١٨٩٥، ولقيت هذه الفكرة تجاوبا من ديفيز تريتش (١٨٧٠-١٩٣٥) وهو صهيوني الماني هاجر الى الولايات المتحدة الاميركية ثم الى المانيا واظهر ميولا قوية للصهيونية . طرح تريتش مشروع الاستيطان في قبرص على المؤتمر الصهيوني الاول (١٨٩٧) والثاني(١٨٩٨) ولقي تعاطفا من هرتسل نفسه الا ان الاخير طلب منه التريث منعا لظهور معارضة شديدة من قبل المشاركين في المؤتمر، خاصة من اعضاء حركة «محبي صهيون» الذين كانوا يرون بتوجيه الجهود ورصدها نحو فلسطين دون سواها من المناطق في العالم، فما كان من تريتش الا ان بدا يعمل بشكل مستقل حيث أسس لجنة للاهتمام بالمشروع وشرع بتنفيذ بعض الخطوات السياسية ،فاتصل مع المندوب السامي البريطاني في قبرص شارحا له اهمية توطين اليهود بالنسبة للمشروع الاستيطاني البريطاني في الجزيرة وحوض المتوسط. ونجح تريتش من تهجير ٢٥٠ يهوديا من رومانيا وروسيا الى قبرص في العام ١٩٠٠ بالتعاون مع جمعية الاستعمار اليهودي، الا ان مشروعه هذا قد اصيب بالفشل نظرا لعدم الاستعداد النفسي بين المهاجرين وعدم تأقلمهم في المنطقة التي قدموا اليها.

الا ان المشروع لم تخبُ جذوته اطلاقا ، ففي العام ١٩٠١ جاءت المبادرة هذه المرة من هرتسل نفسه عندما بلغ مسامعه ان المانيا تنوي تنفيذ تبادل مستعمرات مع المانيا بحيث تسلم المانيا جزيرة قبرص مقابل بعض المستعمرات الالمانية في شرقي افريقيا، فمباشرة اجرى اتصالات مع الحكومة الالمانية والجهات الاستعمارية الالمانية المعنية بالامر عارضا فكرة توطين اليهود في الجزيرة لحماية المصالح الالمانية ومساعدة الالمان في توسعاتهم نحو البلاد العربية ، مما قد يضمن – لهرتسل واليهود– مستقبلا منطقة فلسطين لتكون الوطن القومي اليهودي الذي يسعى اليه كل يهودي في العالم. الا ان المشروع بصيغته التي طرحها هرتسل فشل لكون بريطانيا قد تراجعت عن فكرة التبادل مع المانيا.

اما تريتش الذي كما يبدو لم تغادر فكرة مشروع قبرص ذهنه بادر بدوره على ضوء فشل هرتسل بتجديد المشروع في العام ١٩٠٣ حيث التقى مرة اخرى مع المندوب السامي البريطاني في قبرص عارضا عليه مشروع توطين اليهود في الجزيرة الا ان المندوب كرر رفض بلاده للمشروع. كانت هذه المحاولة الاخيرة لتريتش بما له علاقة بقبرص. فأُنزل المشروع من قائمة المشاريع الصهيونية الخاصة بالتوطين واقامة دولة يهودية .

٩ مشروع فلاديمير جابوتنسكي

يبدو ان تريتش هذا لم ينكفئ جانبا في اعقاب فشل مشروع قبرص السابق ذكره، فإنه واصل نشاطاته الاستعمارية التوطينية ، حيث طرح في العام ١٩٠٥ امام السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مشروع توطين يهود في القطاع الساحلي السوري (من منطقة اضنة في تركيا اليوم الى الساحل السوري).الا ان السلطان

رفض هذا المشروع خوفا من ازدياد نفوذ اليهود وتدخل الدول الاوروبية في شؤون وقضايا الدولة العثمانية .

١٠ مشروع رودوس

طرحه تربيتش نفسه مباشرة بعد فشل مشروعه السابق الخاص بالساحل السوري. وانطلق تربيتش من فكرة كون جزيرة رودوس ملائمة لتحقيق مشروع توطين عدد كبير من اليهود، خاصة وان الجالية اليهودية المقيمة في العام ١٩٠٥ بلغت حوالي خمسة الآف يهودي من اصل ثلاثين الف مواطن في الجزيرة. اي ان اليهود يشكلون سدس السكان في الجزيرة. ولكن هذا المشروع قوبل بالرفض من نفس المنطلقات السابقة .

١١ مشروع العريش

كان من دعاة طرح هذا المشروع تربيتش الذي وضع دراسة مستفيضة حول فلسطين الكبرى والتي يجب ان تشمل فلسطين وسيناء بما فيها العريش بطبيعة الحال. ولاقى هذا المشروع تأييدا تعاطفيا من قبل هرتسل الذي اعتقد ان توفر الدعم اللازم من قبل الحكومة البريطانية سيضمن بكل تأكيد انطلاق المشروع الى حيز الوجود. ويعتمد المشروع في اساسياته على نقل مياه من نهر النيل في مصر الى منطقة العريش الواقعة في شمالي شبه جزيرة سيناء. وسعى هرتس بنفسه بطرح خطط دبلوماسية تطبيقية ليضمن بواسطتها وضع المشروع تحت الحماية البريطانية اسوة بمصر الموضوعة تحت الحماية البريطانية ،اقله من وجهة النظر الشكلية فقط، وان تسعى بريطانيا الى رعاية المشروع كجزء من رعايتها لمشاريعها الاستعمارية المنتشرة في كل ارجاء العالم.

وللتعجيل في المشروع لكسب تأييد واسع من المؤتمر الصهيوني قامت لجنة خاصة بزيارة منطقة العريش في العام ١٩٠٢ مكونة من خبراء صهيونيين في شؤون الاستيطان والتوطين والهندسة المائية ، وتوصلت اللجنة الى استنتاجات ايجابية وجيدة وملائمة للمشروع المطروح، وواصل هرتسل وصهيونيون آخرون مساعيهم الدبلوماسية لدى الاوساط السياسية في لندن ولدى المندوب البريطاني في مصر اللورد كرومر لتحقيق المشروع. الا ان الحكومة المصرية رفضت تزويد منطقة العريش بالمياه من نهر النيل لكون المشروع مكلف وقد يثير تبعات سياسية مع الحكومة العثمانية وجهات سياسية دولية اخرى . لهذا فإن هذا المشروع قد اسقط من جدول المشاريع.

١٢ مشروع اغندا

ويعرف بمشروع شرقي افريقيا . تقدم به هرتسل عن المؤتمر الصهيوني في العام ١٩٠٣، ومن المبادرين الى طرح هذا المشروع كان وزير المستعمرات البريطاني جوزيف تشمبرلين الذي رأى بضرورة الاستفادة من الحماس الاستعماري الصهيوني ن خاصة طروحات هرتسل، لإقامة مستعمرة يهودية او شبه دولة يهودية في افريقيا. وجاءت فكرة كينيا او اوغندا . لم يرفض هرتسل العرض البريطاني من منطلق انه يريد الحصول على مستند من بريطانيا اعظم دولة في تلك الفترة تعترف بقضية اليهود . بمعنى ان مسيرة هرتسل بهذا الشأن هو نيل اعتراف دولي بحق اليهود في اقامة دولة لهم تتمتع بنوع من الاستقلال الداخلي .والتقت المصالح الصهيونية الاستعمارية مع المصالح البريطانية الاستعمارية. الحكومة البريطانية كانت معنية بإستثمار مناطق افريقيا الشرقية، خاصة وان الخبرات اليهودية في هذا المجال واسعة، اضف الى ذلك انها في هذا العام بالذات(١٩٠٣) شهدت بريطانيا هجرة يهود روس قوية في اعقاب مضايقات وملاحقات تعرضت لها الجاليات اليهودية في روسيا، بحيث ان بريطانيا ارادت توجيه المهاجرين اليهود الى اوغندا لتخفيف حدة هجرتهم الى بريطانيا ذاتها. وبهذا تكون قد حققت غايات استعمارية وسياسية واقتصادية بالغة الاهمية .

اعتبر هرتسل ان مشروع اوغندا انتصار لمشروعه الكبير الذي عرضه في المؤتمر الصهيوني الاول في بازل في العام ١٨٩٧، بحيث انه تمكن من جعل قضية اليهود مسألة دولية وليست مسألة استعمارية ضيقة المصالح.

وتعرض هرتسل الى موجات من المعارضة من داخل المؤتمر الصهيوني (السادس) ومن خارجه بين مؤيد لمشروع اوغندا، وبين معارض له من منطلق الخوف على ضياع الهدف الاسمى والاهم

ان الروح الاستيطانية ما زالت مسيطرة على الشارع العام في اسرائيل، وهي تشبه الى حدّ ما تلك التي كانت سائدة اثناء البحث عن دولة أو اقليم لتوطين اليهود أو اقامة ذات سياسية بشكل دولة أو حكم ذاتي . ويبدو ان قطاعات واسعة من المجتمعات اليهودية في اسرائيل لم تتخلص بعد من روح الفوقية الاستعمارية المسيطرة على عقول مفكريها الذين يتعاملون مع قضايا الساعة من منطلقات عرقية تسعى الى تهميش الآخر (العربي الفلسطيني في هذه الحالة) وجعله غريبا عن ارضه ووطنه

وهو « صهيون» اي اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.وازاء هذه المعارضة وافق هرتسل على صيغة توفيقية تنادي بان اوغندا ما هو الا مشروع توطين مؤقت ومرحلة نحو فلسطين. الا ان المعارضين رفضوا هذه الصيغة وتركوا قاعة المؤتمر وانطلقوا بالبكاء على ضياع المشروع الصهيوني ، مما حدا بهرتسل الى التراجع عنه .

ولم يلغ المشروع الا بعد وفاة هرتسل عندما سحبته الحكومة البريطانية من جدول اعمالها الاستعمارية .

١٣ مطامع

سعى هرتسل، ضمن مساعيه السياسية الحثيثة الى ايجاد منطقة لتوطين اليهود واقامة شكل دولة فيها ، الى وضع خطة مشروع توطين اليهود في ليبيا. وادرك هرتسل ان لايطاليا مطامع استعمارية في السيطرة على ليبيا الخاضعة لحكم السلطان العثماني ، فتقرب من ملك ايطاليا في العام ١٩٠٤ مقترحا عليه تهجير عدد من يهود شرقي اوروبا الى ليبيا ليقيموا فيها حكما ذاتيا(اوتونوميا) في ظل القوانين والمؤسسات الليبرالية الايطالية. وشرح هرتسل اهمية توطين يهود في هذه المنطقة بما سيعود بالمنفعة على المشاريع الاستعمارية الايطالية . ولكن الملك الايطالي تردد كثيرا في اعطاء اجابة واضحة لهرتسل خوفا من ان يسبب ذلك حرجا في علاقات ايطاليا مع الدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا.

ولم يتوقف السعي الدبلوماسي الخاص بهذا المشروع في اعقاب وفاة هرتسل في العام ١٩٠٤ ، اذ تابع اسرائيل زانجويل احد زعماء الصهيونية اتصالاته من اجل توطين يهود في ليبيا. ودخلت في الصورة بريطانيا التي ارادت الاستفادة من الوضع لحث تحقيق توطين يهود في ليبيا لصد الاطماع الايطالية ، وتوسطت لدى الحاكم العثماني لليبيا بتسهيل المشروع ، وهذا الاخير اعتقد ان قدوم اليهود وتوطنهم سيحسن من الحالة الاقتصادية لليبيا. وساد الاعتقاد في الاوساط الصهيونية ان المشروع مربح من الناحية الاقتصادية ايضا اضافة الى النواحي السياسية . فقد حظي المشروع بدعم من الحكومتين البريطانية والعثمانية.والمنطقة في ليبيا قرب برقة خالية من السكان تقريبا مما سيسهل عملية السيطرة اليهودية عليها .وتقدمت المنظمة الصهيونية بسلسلة من عروض مشاريع تطويرية للحاكم العثماني في مقدمتها مساهمة اثرياء يهود في مد سكك حديدية وطرق مواصلات لربط المدن الليبية بعضها ببعض مما سيسهل على الحكم توطيد سيطرته. الا ان انقلاب العام ١٩٠٩ في استانبول وخلع السلطان عبد الحميد الثاني وتولي جماعة الاتحاد والترقي السلطة فيها ، وقيام ايطاليا باستغلال زعزعة الحكم في تركيا فاحتلت ليبيا ن كل هذه العوامل لم تكن في صالح المشروع الصهيوني ، ما ادى الى القضاء عليه رغم تحقيقه تقدما ملموسا على مختلف الاصعدة.

١٤ مشروع

كان هرتسل يبحث بشكل متواصل ودون توقف عن منطقة في العالم يحقق فيها فكرة توطين واقامة دولة لليهود. وكانت انطلاقاته من اسس وقواعد استعمارية تتلاقى بشكل طبيعي مع الرؤى الاستعمارية العالمية للدول العظمى في ذلك الوقت .واجرى اتصالاته مع رئيس حكومة النمسا في العام ١٩٠٣ للتوسط لدى حكومة البرتغال بالسماح لليهود بالتوطن في موزمبيق ، وهي مستعمرة برتغالية في افريقيا. وعرف هرتسل كيف يتوجه الى الحكومة البرتغالية بواسطة تقديمه عرضا ماليا سخيا بموجبه يتم انشاء

شركة استثمارية يهودية تساعد الحكومة البرتغالية على التغلب على مشاكلها وازماتها الاقتصادية من خلال الاستفادة من الاستثمار في موزمبيق شريطة تسهيل توطين يهود فيها مع امتيازات حكم ذاتي معينة .

ورغم التخوف البرتغالي من الارتماء في احضان الصهيونية وبالتالي الى تورطها السياسي مع بريطانية ذات العلاقات الحسنة مع الصهيونية فإن هرتسل نفسه لم يكن متحمسا بما فيه الكفاية لهذا المشروع ، الا انه اراد الاستفادة منه كورقة ضغط على الحكومة البريطانية لتمنحه امتيازا في شبه جزيرة سيناء او في قبرص.

١٥ مشروع الكونغو

لم يصب هرتسل باليأس مما لاقته مشاريعه الاستيطانية من رفض وفشل ، فإنه بادر الى طرح مشروع جديد في صيف ١٩٠٣ لتوطين يهود في منطقة في الكونغو في وسط افريقيا. والتقى مع مستثمر يهودي بلجيكي ثري هو فرانتز فيليبسون. وهذا الاخير امتلك استثمارات كبيرة وواسعة في الكونغو وكانت لديه صداقات قوية مع الملك البلجيكي ورجال سياسة وقرار في الحكومة البلجيكية. وابدى فيليبسون حماسا ملحوظا لفكرة هرتسل الداعية الى ان تقوم الحركة الصهيونية بدفع مبلغ من المال سنويا للحكومة البلجيكية مقابل السماح لليهود بالتوطن في اراضي الكونغو ، وبالطبع سيدفع المبلغ فيليبسون. وبعدها يساهم اليهود في تطوير الاستثمارات في الكونغو. الا ان فيليبسون تراجع عن تأييد المشروع خوفا من نجاح يهود آخرين في استثماراتهم ويفقد نفوذه ورأسماله.

١٦ مشروع انغولا

اقترح زانغويل العام ١٩١٢ في اعقاب فشل مشروع ليبيا مناطق اخرى لتوطين اليهود فيها. واقترح على الحكومة البرتغالية توطين يهود في مستعمرة انغولا. ولقي المشروع تأييدا واسعا من قبل البرلمان البرتغالي الذي رأى في توطين اليهود دعما لبقاء مستعمرتهم التي تخلو من البرتغاليين المحجمين عن الذهاب اليها. ووضعت الحكومة البرتغالية شرطا مفاده ان تكون الهجرة بشكل فردي وليس من منطلقات جماعية، وذلك حفاظا على سيطرة وسلطة الحكومة الاستعمارية البرتغالية في تلك المنطقة . واوفدت المنظمة الصهيونية بعثة دراسية لتقصي الحقائق والاحوال في تلك المنطقة وقدمت تقريرها الى المؤتمر الصهيوني العام في سويسرا في العام ١٩١٤ للنظر فيه واتخاذ القرارات اللازمة بشأنه ، الا ان اندلاع الحرب العالمية الاولى جمد كل الخطوات السياسية المتعلقة بهذا المشروع وسواه.

١٧ مشروع البحرين والاحساء

اساس هذا المشروع في الرسالة التي وجهها طبيب روسي يهودي مقيم في باريس الى الحكومة البريطانية في العام ١٩١٧، وهذا الطبيب هو روتشتاين. وملخص المشروع هو اقامة دولة يهودية في الجزء الشمالي من منطقة الخليج العربي تضم منطقتي البحرين والاحساء. ويكون تنفيذ عملية اقامة الدولة المذكورة بواسطة جيش يهودي قوامه ٣٠ الف جندي من شباب يهود شرقي اوروبا يقدمون الى البحرين التي تتحول الى قاعدة عسكرية تدريبية لهم تحت رعاية واشراف بريطانيا وحليفتيها خلال الحرب العالمية الاولى فرنسا وروسيا. وهذا الجيش يقوم بعد سلسلة من التدريبات بالانقضاض على منطقة الاحساء ويعلن اقامة الدولة اليهودية . واشار روتشتاين الى ان هذا الجيش سيكون خير معين للجيش البريطاني في فرض سيطرته وسطوته على منطقة الخليج ذات الاهمية الاستراتيجية. واكد ان يهود العالم سيكونون موالين للانكليز في حال اتخاذ بريطانيا خطوة جريئة في الاعلان عن الدولة . لكن المشروع جوبه بمعارضة شديدة من قبل وزراء في الحكومة البريطانية، خاصة الوزير ادوين مونتاغو الذي رأى في مشروع كهذا مصدر اثارة لغضب العرب ما يؤدي لوقف دعمهم لبريطانيا. ولكن الامر الاكثر اهمية هو زوال الخطرين العثماني والالماني عن منطقة الخليج بعد انهيار الدولة العثمانية وانكسارها وانسحابها من العراق ، وايضا سير الجيش الالماني نحو النهاية في الحرب العالمية الاولى. والاهم من كل هذا ان بريطانيا كانت مهتمة اكثر بتركيز مسألة توطين اليهود في فلسطين ، اي في وسط منطقة الشرق الاوسط لتكون قاعدة استعمارية لها تحقق بواسطتها سيطرة

كاملة على الشرق الاوسط ، خاصة قناة السويس والنفط. اضافة الى ان بريطانيا اصبحت مقتنعة بالتمام ان خلق وطن قومي يهودي في الشرق الاوسط هو عبارة عن دولة عازلة تحول دون امكانية تفكير العرب في طرح مشروع دولة لهم يجددون فيها خلافتهم التاريخية، والتي عبر عنها الشريف حسين في مراسلاته مع المفوض البريطاني في مصر السير هنري مكماهون. فبريطانيا بهذا المشروع ،اي اقامة وطن قومي يهودي تحقق مصالحها الاستعمارية، وبالتالي تحقق مشروع الدولة اليهودية مستقبلا لحل اشكالية الوجود اليهودي في اوروبا.

١٨ مشروع

هو عبارة عن تصريح وزير خارجية بريطانيا على شكل رسالة وجهها الى روتشيلد رئيس الاتحاد الصهيوني معلنا من خلالها عن اماني العطف من قبل الحكومة البريطانية تجاه الشعب اليهودي بواسطة السعي الى دعم مشروع اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. وصدر هذا التصريح في الثاني من تشرين الثاني من العام ١٩١٧، وليس صدفة ان يصدر التصريح بالشكل الذي صدر فيه لكونه دليلاً على تكامل المشروع الاستيطاني الصهيوني والتقائه بالتمام مع الرؤية الاستعمارية البريطانية في جعل الشرق الاوسط منطقة استعمارية بريطانية طويلة المدى . وكانت الحاجة البريطانية الاستعمارية الى من يدعم مشروعها الاستعماري ماليا واداريا وتنظيميا ، واليهود هم الوحيدون الذين يملكون القدرة على تحقيق هذا المشروع الاستيطاني . ومن الواضح ان تصريح بلفور قد وضع اسس الدولة اليهودية العتيدة بكونها وطنا قوميا للشعب اليهودي، اي ان الحكومة البريطانية ترى في اليهود شعبا له مكونات الشعب وما ينقص هذا الشعب هو ارض، وها هي الارض موجودة. مع العلم ان هذا التصريح يعتبر في عرف القانون الدولي غير نافذ لكون بريطانيا لم تسيطر على فلسطين بعد، أي أنها وعدت اليهود بشيء لم تمتلكه بعد، ولكن هذا الرأي يتضاءل أمام حجم القوة البريطانية والنفوذ الصهيوني الذي رسم بكل دقة أسس ومقاييس التصريح، رغم التعديلات الطفيفة التي أُدخلت عليه لضمان مصالح بريطانيا مع حد أدنى من الحقوق الانسانية لغير اليهود، خاصة وان التصريح قد اعتبر غير اليهود (اي العرب) اقلية رغم كونهم الاغلبية الساحقة من سكان فلسطين ، وان حقوقهم مقتصرة على الجوانب المدنية فقط دون القومية . وهذا في حد ذاته رسم شكل الدولة اليهودية المزمع اقامتها، بحيث انها تكون يهودية الشكل والمضمون وان بقي فيها غير يهود فحقوقهم محدودة في نطاق الخدمات المدنية فقط دون غيرها من الحقوق .ومما لا شك فيه ان توجه تصريح بلفور بهذا الشكل منبعه الرؤية الصهيونية الاستيطانية الاقليمية التي لم تر في الآخر سوى أداة لتحقيق مآرب ومخططات تسعى من اجل بناء دولة يهودية على حساب الآخر.ويعتبر تصريح بلفور نجاحا باهرا للصهيونية العالمية في تحقيق مشروعها المستقبلي، الا وهو اقامة دولة في فلسطين بأي شكل كان كخطوة أولى نحو توسيع رقعة هذه الدولة مستقبلاً. وركز زعماء وقياديو الصهيونية جل جهودهم على جعل التصريح أعلاه مستندا دوليا عندما شمله صك الانتداب في العام ١٩٢٢، بحيث اوكلت عصبة الامم الى بريطانيا واجب قيامها بتحضير فلسطين لتكون وطنا قوميا يهوديا، أي ان مشروع الدولة اليهودية اصبح في نطاق اعتراف الشرعية الدولية ، وان كنا على علم بأن هذه الشرعية الدولية ما هي الا قوة بريطانيا ونفوذها المسيطر على العالم اجمع.

ومهما تعددت المشاريع فإن الروح المركزية التي وجهت وتوجه التيارات السياسية الصهيونية والاسرائيلية هي تنفيذ المخططات الاستعمارية التوطينية والتي تقضي في اساسها تجريد السكان الاصليين من اراضيهم بطرق تُصنّع شرعيا بواسطة قوانين متضاربة تظهر اسرائيل بانها دولة قانون وعدل ، ثم تبدأ عمليات تنفيذ ترحيل (ترانسفير) وتطهير عرقي.

١٩ مشروع

مشروع سوفييتي اعلن عنه ستالين في العام ١٩٢٦، ورغم ان المشروع قد فاجأ بعض الاوساط اليهودية داخل وخارج الاتحاد السوفييتي، الا انه من المفيد التوقف عنده قليلا لفهم تأثير رياح مشروع الدولة اليهودية، حتى على النظام الشيوعي في الاتحاد السوفييتي. وليس القصد من وراء هذا المشروع اقامة دولة يهودية مستقلة بالتمام ، بل نوع من «الاوتونوميا» على الطراز السوفييتي. المخطط ان يقام اقليم اوتونومي في مساحة تبلغ حوالي ٢٢ الف كيلومتر مربع، في المنطقة الواقعة الى الشرق من الاتحاد السوفييتي بالقرب من منشوريا الصينية .

وصدر قرار عن رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي في العام ١٩٢٨ بإقامة اقليم قومي يهودي يتمكن اليهود من اقامة مستوطنات لهم فيه، ولكن مراحل التوطين ذاتها جوبهت بعقبات معظمها تمركز حول عدم اهلية المستوطنين اليهود للعيش والعمل في هذا الاقليم ذي التضاريس الجغرافية الصعبة ، وان الدولة لم تبادر الى توفير تسهيلات لتحقيق المشروع. ونجحت السلطات السوفييتية في اقامة اكثر من ١٨ مستوطنة زراعية تعاونية (كولخوز) من مجموع ٦٤ كولخوزا عاما في الاقليم ذاته. ولكن اغلبية اليهود الذين قدموا او احضروا الى هذا الاقليم فضلوا الانتقال والعيش في المدن الرئيسية، واهمها عاصمة الاقليم وهي ايضا تحمل اسم بيروبيغان.وأخذ عدد الجاليات اليهودية بالاضمحلال في هذا الاقليم في اعقاب تناقص اعداد اليهود فيه. وما زال موضوع طرح المشروع من قبل السوفييت تشوبه ضبابية معينة ، الا ان الفرضيات حوله كثيرة ، منها رغبة الاتحاد السوفييتي اقامة اقليم قوي وثابت اقتصاديا لمواجهة الاطماع اليابانية الاخذة بالانتشار في اقليم منشوريا الصيني والذي بلغ اوجه في احتلال اليابان لمنشوريا في اواسط الثلاثينيات من القرن العشرين مما شكل خطرا حدوديا توسعيا على الاتحاد السوفييتي من قبل اليابان نفسها ، وايضا فإن رئاسة الاتحاد السوفييتي رأت في مشروع بيروبيغان مساهمة قوية وجادة من قبلها في تقليل تاثير الصهيونية الاستيطانية في العالم وبالتالي الى تخفيف حركة الهجرة اليهودية الى فلسطين، ولكن هذه التفسيرات غير مقنعة او كافية لفهم أسس ومنطلقات هذا المشروع.

٢٠ مشروع تقسيم فلسطين

طرحت فكرة تقسيم فلسطين في توصيات اللجنة الملكية البريطانية التي ترأسها اللورد بيل في العام ١٩٣٧، بحيث تقام دولتان واحدة عربية والاخرى يهودية مع الاحتفاظ بمناطق محددة في فلسطين بصفة كونها ذات ميزات دولية (دينية واستراتيجية في الاساس). ولم تتحقق فكرة التقسيم الا في العام ١٩٤٧ من خلال قرار رقم ١٨١ الذي اصدرته الامم المتحدة، ويقضي بإقامة دولة يهودية وأخرى عربية في فلسطين. وافق اليهود على المشروع لكونه قد رفع مستوى المطالبة بدولة يهودية الى اعلى الدرجات في المحافل الدولية، وأصبحت قضية اقامة دولة يهودية على حساب الشرعية الدولية مضمونة كمستند تاريخي وسياسي. اما رفض العرب الفلسطينيين للتقسيم لم يكن مهما بالنسبة لليهود، خاصة ادراكهم انهم سيخوضون حربا عسكرية مع الفلسطينيين يجردونهم فيها من القسم الذي خصصته الامم المتحدة لدولتهم. وهم – أي اليهود– يكونون قد حققوا حلما واسعا بضربة واحدة في جعل فلسطين يهودية بمعظم اراضيها من خلال حرب ١٩٤٨–١٩٤٩.

***

ولا يقتصر الامر عند هذا الحد بل ان مسألة الدولة اليهودية المتمثلة بدولة اسرائيل لم تعلن حدودها الى هذا اليوم، هذه الاشكالية كبيرة وواسعة بالنسبة لاسرائيل اولا وللدول العربية المحيطة بها ثانياً وللفلسطينيين خاصة . ولكن كما يبدو ، فإن هذه الاشكالية

ليست مسألة تشغل بال المجتمع الاسرائيلي عامة ، فما دام الامر المتعلق بالحدود غير مرسوم بشكله النهائي فهذا يعني استمرار وجود فكر توسعي – استعماري . وهذا الفكر يتطلب ديمومة قضية اليهود كشعب ملاحق يحتاج الى ضمانات دائمة وغير محدودة او متوقفة على امور معينة . القصد هنا ان الحركة الصهيونية ومن ثم منتوجها اسرائيل بالشكل الحالي فرضت حراكية (ديناميكية) في طرح القضية اليهودية بكونها قضية غير منتهية ، بل لن تنتهي على الاطلاق . او على الاقل قد توشك على الانتهاء عندما يتحقق كل المشروع الصهيوني المتمثل في طرد كل الفلسطينيين من فلسطين وضم ما تبقى من اراضي فلسطين الى اسرائيل.

ان المحاولات الكثيرة الواردة اعلاه لتوطين يهود ، واقامة نوع من الحكم الذاتي (الاوتونوميا) ، او اقامة دولة يهودية مستقلة ، قد تحققت في آخر الامر بإقامة اسرائيل بالشكل الذي اقيمت فيه ، مع العلم ان كل زعماء الصهيونية واسرائيل وفي مقدمتهم بن غوريون لم يكونوا راضين عن المنتوج الصهيوني بالشكل الذي تم تصديره وولادته في العام ١٩٤٨، وهذا ما عبر عنه بن غوريون عندما قال انه كان يفضل الا يبقى أحد من العرب في هذه الدولة لكونهم(اي العرب) يشكلون عائقا مركزيا أمام تحقيق مشروع الدولة اليهودية .

ومهما تعددت المشاريع فإن الروح المركزية التي وجهت وتوجه التيارات السياسية الصهيونية والاسرائيلية هي تنفيذ المخططات الاستعمارية التوطينية والتي تقضي في اساسها تجريد السكان الاصليين من اراضيهم بطرق تُصنّع شرعيا بواسطة قوانين متضاربة تظهر اسرائيل بانها دولة قانون وعدل ، ثم تبدأ عمليات تنفيذ ترحيل (ترانسفير) وتطهير عرقي من خلال التمسك بأهداب طروحات كراهية اليهود والارهاب وفوبيا اليهود من اعدائهم العرب او الفلسطينيين.

ان الروح الاستيطانية ما زالت مسيطرة على الشارع العام في اسرائيل، وهي تشبه الى حدّ ما تلك التي كانت سائدة اثناء البحث عن دولة أو اقليم لتوطين اليهود أو اقامة ذات سياسية بشكل دولة أو حكم ذاتي . ويبدو ان قطاعات واسعة من المجتمعات اليهودية في اسرائيل لم تتخلص بعد من روح الفوقية الاستعمارية المسيطرة على عقول مفكريها الذين يتعاملون مع قضايا الساعة من منطلقات عرقية تسعى الى تهميش الآخر (العربي الفلسطيني في هذه الحالة) وجعله غريبا عن ارضه ووطنه وفرض حلول تؤدي بطبيعة الحال الى تذويب ذات الشعب الفلسطيني بكونه الشعب الذي ألف تركيبة سكان فلسطين التاريخية.

حاولنا من خلال هذا البحث استعراض سلسلة من مشاريع اقامة دولة او اوتونوميا يهودية ونشاط حركات توطينية لليهود في انحاء مختلفة من العالم وصولا الى تحقيق المشروع الكبير في اقامة اسرائيل، وبينا ان مشروع اسرائيل ليس النهائي فما زالت هناك عدة مشاريع توطين تطرح في انساق مختلفة ، اهمها توسيع رقعة الدولة الحالية التي لم تتخذ بعد شكلها النهائي او الطبيعي اسوة بكل الدول الطبيعية في العالم، ومرد ذلك سعي ساسة الصهيونية الى مزيد من الاراضي التي تضم الى اسرائيل لضمان أمنها ومستقبلها حتى لو كلف هذا الامر تنفيذ تطهير عرقي ضد الشعب الفلسطيني، وهذا بالفعل ما سعت وتسعى الى تنفيذه وتحقيقه كل حكومات اسرائيل على مر العقود الستة الاخيرة.

ورأينا ان الترابط القوي بين المشاريع الصهيونية وبين المسار الاستيطاني قوي للغاية من حيث تبني الصهيونية لطروحات الاستعمار وفوقيته على الشعوب الاخرى وتقدمه ورقيه وحضارته، وان له حق تاريخي وديني وانساني في السيطرة على هذه المنطقة دون سواها.

ان استمرارية تمسك بعض التيارات الصهيونية والاسرائيلية بمثل هذه الطروحات والافكار كفيلة ببقاء اسرائيل دون تشكل حدود نهائيا وبالتالي استمرار وضع صيرورة الدولة اليهودية الى ان تشمل مساحات اوسع من الاراضي فيها ضمانات امنية وثروات طبيعية وقدرات تسويقية واسعة.

والمشاريع اعلاه ما كانت سوى تحضير الطريق للمشروع الاهم والاعظم الا وهو اقامة دولة في يهودية في فلسطين ، بمعنى ان كل المحاولات لاقامة دولة يهودية في هذه البقعة من العالم او تلك ما كانت سوى وضع قضية اليهود في مقدمة القضايا الملحة عالميا، وحث الحكومات على توفير حل لها، والحل الامثل هو توفير اعتراف دولي بحق اليهود كشعب قومي بدولة له تقام على ارض له علاقة بها تاريخيا ودينيا ، على حدّ ادعائهم.